

العرب بين الإرهاص و المعجزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سادتي.. سيداتي

في هذا النداء أقدم السيد على السيد.. أتعمد ذلك لأحفظ قوامي بالمحافظة على التقاليد التي عرف العربي .. كما عرف الشعب البريطاني بالمحافظة على تقاليد..

ليس هذا التقديم للمفاضلة.. بل ألم عندي أفضل من الأب ، ولكن التقدم بهذا للمحافظة على التقاليد لا أكثر ولا أقل.

سيداتي.. سادتي

لا أريد أن أقدم بحثاً عن دراسة شاملة .. فما زلت أعرف في أمثل عروبي (ألا أحمل التمر إلى هجر) فأنت رجال العلم والفكر مما كانا نسميك المستشرين ، فرفضت هذه التسمية اسيراً بها كما سار بها البروفيسور جاك بيرك ، والبروفيسور شارل بيلا ، الفرنسيان المستعربان – فاقول أنت المستعربون لا المستشرون .

فالاستشراق يحرني أنا العربي الاستحواز عليكم والالتصاق بكم ، وحصر ما صنعتم لأمني العربية تقيراً لكم لا حرماناً للآخرين من علمكم ، وبكل صراحة ، وبالصدق المكالف به طالب المعرفة .. أقر وأعترف أنا الموقع أدناه ، أو بعبارة أخرى الناطق به أمامكم باتفاقنا معكم بشر تاريخنا والاحتلال بترايانا والإشارة بحضارتنا ، ليس من باب الاطراء لتاريخنا وأثارنا وحضارتنا ، وإنما هو أدخل في باب إعلان الاعتراف منكم بعظمة هذا التاريخ وعظمة هذه الحضارة ، والاعتراف منها .. فقد كانت أمّة العرب أمّة الإسلام الأمّة الوسطى ، حاملة حضارة الوسيط التي أفادتكم وكانت الأساس والداعمة لما أنتم عليه الأن .

سيداتي .. سادتي

من هذا المنطلق .. لا أقدم بدراسة وبحث ، وإنما أقدم بخواطر ..

فقد كانت حالة العرب وشبة الجزيرة العربية قبل الإسلام موضوعاً لبحوث كثيرة ومتعددة في الشرق والغرب على السواء . ، كتبت بلغات مختلفة ، وعكف عليها عدد كبير من الدارسين . ذلك لأن ظهور الإسلام كان حثناً تاريخياً لا يشبهه حدث آخر في تاريخ البشرية كلها .. فقد استطاع اتباع هذا الدين أن يغيروا وجه الأرض المعروفة في ذلك الوقت ، تغيراً كلياً في فترة من الزمان لا تتجاوز الثلاثين عاماً ، ولا تزال البشرية كلها تعيش في آثار تلك التغيرات إلى يومنا هذا .

ومن هنا فقد أراد العلماء شرقاً وغرباً أن يستطلعوا أحوال ذلك الجنس العربي الذي تمكن من إبراز هذه المعجزة وأرادوا أن يعرفوا الخصائص التي ساعدتهم ومكتنهم من ذلك كلّه.. فكان لا بد أن يرجعوا إلى الوراء قبل ظهور البعثة المحمية ، فدرسووا أحوال شبه الجزيرة من الناحية الجغرافية وموقعها ، وأثر ذلك الموقع في قبول الإسلام .. كما درسوا أحوال القبائل العربية التي كانت تقطن شبه الجزيرة آنذاك من الناحية الاجتماعية .. وتركيب هذه القبائل وعلاقة الفرد بها ، وعلاقتها بالفرد .. والحروب الدموية التي كانت تقوم بينها وأسبابها .

كما درسوا الحالة الاقتصادية ، وأنواع المتاجر الداخلة إلى شبه الجزيرة والخارجة منها ، والنقوص التي استعملوها سواءً أكانت دراماً فارسية أم دنانير بيزنطية.

ودرسوا حالة الطرق وأنواع القواقل . ولكن أهم الدراسات انصببت على الحياة العقلية ومظاهرها في اللغة والشعر والأنساب والقصص.

وكذلك البيانات التي كانت سائدة بين سكان شبه الجزيرة ، فدرسووا الوثنية ، واصولها وأنواع الألهة التي كانت تعبد هناك ، ودرسووا انتشار اليهودية والنصرانية والأثر إلى أحدثته هاتان الديانات في العقليّة العربية ، وخلصوا من ذلك كله إلى أن تلك الأرض كانت موطن حضارات متعددة ومتقدمة.

ففقد كانت مدن الحجاز .. الطائف ومكة والمدينة .. تعيش عيشة الحرية والاستقلال ، فلا تقر بالطاعة لأحد .

أما في الشمال في بادية الشام ، فقد خضع العرب لتيارات السياسة العالمية دون إخوائهم عرب الجزيرة بزمن طويل. فمنذ زمن الأشوريين كان للعرب هناك مملكة حاصلتها الحروف تعاقبت على عرشها الملوك ، وظلت خاضعة لنفوذ الأشوريين حتى عام 69 ق.م. ، بل لقد جعل الملك البابلي نابونيدس (بختنصر) 566 - 539 ق.م ، مقره فترة من الزمان في واحة تيماء التي كانت قاعدة لحملاته على الغرب .. ولقد وجد في هذه الواحة نقش آرامي يرجع للعهد الفارسي يدل على النظام الديني في تلك المدينة . وما ينطوي عليه من كهنة ، وهياكل ، والهبة خاصة بكل منها ، ثم نشأت دولة الأنبياط بعد ذلك بزمن متاخر وسيطرت على تجارة القوافل ، وكانت عاصمتهم سلع أو البتراء ، وهي قلعة جبلية تقع على منتصف الطريق تقريراً بين البحر الميت ورأس الخليج العربي وهي الآن مقصد السياح الوافدين إلى الأردن.

ولا تزال آثار "سلع" الهمامة والكتابات المختلفة التي نقشت على قبورها المنحوتة في الصخر شاهدة على ما كان لها من حضارة زهرية . ولقد اصطبغ الأنبياط الذين ورثوا التموديين في هذه التقوش .. اللغة الآرامية التي كانت لغتهم الرسمية واقتبسوا الألقاب موظفيهم وزعمائهم العسكريين من الدول الهيلينية المجاورة.

ثم قضى الرومان على استقلال "سلع" سنة 106 م. وضموها إلى إمبراطوريتهم وعرفت عندهم باسم (المقاطعة العربية) .. وكانت تدمر التي خلفت دولة الأنبياط أسعده حظاً من ساحتها ، وكانت السيادة فيها للعرب .

ولقد خاضت تدمر حروبها ناجحة ضد الفرس ، مكنت ملكها "أذينة" من بسط سلطانه على سوريا كلها .. ولما توفي "أذينة" سنة 268 م. تولت امرأته "زنوبية" النباء - زينب أمير الحكم من بعده ، وظلت تصرف شئون المملكة حتى سنة 273 م. عندما دمر الإمبراطور أورليانوس مدينة تدمر. وكانت نهاية الملكة "زنوبية" الفاجعة موضوعاً بعيداً في نفوس عرب الصحراة ، وظلت سيرتها تروى في عصور الإسلام الأولى بعد أن اكتسبت طابعاً إسطورياً.

وبالقضاء على تدمر انتهى عهد الدول العربية المستقلة في الشمال ، ومنذ ذلك الحين صار الرومان وخلفاؤهم البيزنطيون قادرين دائماً على أن يتذروا بعض العرب صناع لهم على تخوم البايدية ، يستعينون بهم على صد غارات العدو على المناطق المتحضرة . والواقع أنهم اصطنعوا الغساسنة في الشام وكان إليهم حكم المناطق الواقعة شرق الأردن .. و أشهر ملوك هذه الأسرة الحارث الخامس ، وكانت له سلطة مطلقة على العرب في شمال سوريا ، إلا أنه بعد وفاته لم يتمكن ملوك الغساسنة أن يخضع هؤلاء جميعاً تحت حكمه إلا قبيل الفتح الإسلامي .

وابتاع الفرس أعداء الرومان التقليديون نفس السياسة نحو العرب ، والمفترض أن ساور الأول ذا الاكتاف نفسه هو الذي عين عمرو بن عدي من بني لخم ملكاً على العرب في العراق ، وقد وجد الفتن المحفور على قبر ابنه أمرى القيس في النمار جنوب شرقى دمشق ، وعرف عند علماء الدراسات التاريخية باسم نقش النمارة ولا يزال أحد المصادر الرئيسية في دراسة أصل الخط العربي.

أما خلفاؤه فقد جعلوا مقرهم بوصفهم عملاً للفرس في الحيرة الواقعة على نحو عشرة أميال جنوب بابل .. ولقد كان هؤلاء في حرب دائمة مع الغساسنة الذين استولى ملوكهم المنذر على الحيرة حوالي سنة 575 م. ودمرواها وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (ألم غلبت الروم في أذنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلوبون في بضع سنين) أشارت إلى الحرب بين الإمبراطوريتين (غلبت الروم) فجزع المسلمون لانتصار الوثنيين الفرس على الكتابيين الرومان حتى إذا انتصروا مهدواً بضعف الفرس للانصار في القاذسية .

وعلى ذلك فإننا نرى أن أجناساً كثيرة وجدت في شبه الجزيرة قبل ظهور الإسلام.

ولقد اعتاد النسابيون أن يقولوا أن عرب الشمال من نسل اسماعيل بن ابراهيم وعرب الجنوب من نسل قحطان ، وتبعاً لهذه الرواية نعرف فروقاً بين القبيلتين :
أولاً : أن القسم الجنوبي كان يعيش عيشة اشتقرار وتغلب عليه الحضارة ، ولقد ذكر القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جناتان عن يمينكم المنذر على الحيرة حوالي سنة 575 م. ودمرواها وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة (ألم غلبت الروم في أذنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلوبون في بضع سنين) أشارت إلى الحرب بين الإمبراطوريتين (غلبت الروم) فجزع المسلمون لانتصار الوثنيين الفرس على الكتابيين الرومان حتى إذا انتصروا مهدواً بضعف الفرس للانصار في القاذسية .

ثانياً : أنهم مختلفون في اللغة ، وكانت لغة اليمن تختلف لغة الحجاز .. فاللغة اليمنية أكثر اتصالاً باللغة الحبشية والأكادية .. ولغة الحجاز أكثر اتصالاً باللغة العربية والنبطية .

ثالثاً : أنهم مختلفون في درجة الثقافة العقلية تبعاً لما هم عليه من عيشة بدوية أو حضرية .. وتبعاً لاختلافهم في اللغة والأمم التي كانوا يخالطونها ، ولقد تجاوز المؤرخون حين ذكروا أن هذا اختلاف في اللغة وليس الأمر كذلك وإنما هو اختلاف في اللهجات ، أما اللغة فأساس واحد.

ورغم ذلك فإنه مما يستوقف نظرنا أن نرى للخيбин في الحيرة والغساسنة في الشام قد عمروا قروناً وبلغوا في المدينة شوا بعبدا - إذا قيس بحالة العرب في الجزيرة - وكان منهم من يخالط الفرس والروم ويتكلّم بلغتهم ، ودينهم على العموم كان ارقي من دين غيرهم من العرب .. فهم إما نصارى أو مجوس وهذا كلّه كان داعياً إلى خصب الذهن وتفتق الفريحة بالشعر ، وكان من المعقول أن تخرج بالدهم فحولاً من الشعراء ولكننا لم نظفر منهم بـشعر ذي خطير ، فهم مثلاً يحدثوننا عن عدي بن زيد العبادي الحيري وهو شاعر ضعيف كان الأصمّي وأبو عبيدة يقولان فيه : عدي بن زيد في الشعراء يمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجدي معها ، وكلّ الذي يرويه لنا الأدباء هو رحلة شراء الجزيرة.. كالتابغة والأعشى وحسان .. إلى أمراء الحيرة وأمراء غسان.

ولقد كانت الحياة الدينية عند العرب القدماء تقوم على تقديرهم لضرور من الحجارة في سلع وغيرها . ولقد حظيت بعض الأماكن المقدسة بشهرة خاصة، فكانت القبائل المختلفة تحج إلى عكاظ ، الواقع أن الأسواق التي كان العرب يقيمونها في الجاهلية ارتبطت بالاحتلالات الدينية ، ومن هنا كانت مجالاً لتبادل النتاج الرومي بالإضافة إلى البضائع والعروض المادية .

ولكن هناك ثلاثة آلهة اشتهرت عندهم أكثر من غيرها : الأولى وهي (مناة) وكانت معروفة في مكة ، ولكن عبادتها شاعت على الخصوص بين قبائل هذيل ، والثانية (اللات) والثالثة (العزى) .

ل لكن بالإضافة إلى هذه الآلهة اعتقد العرب كثير من غيرهم من الشعوب القديمة بآلهة خالق للكون وهو (الله) سبحانه وتعالى يعرفون الله وبشركون بالله .

كما أن الديانات السماوية التي كان لها زمن طويل أنصار وأتباع في بلاد الرعب قد ساعدت على هدم الوثنية العربية السابقة .. ففي جنوب الجزيرة بلغت اليهودية في فترة من الزمن مبلغاً من القوة ظهرت أثاره في اعتناق الحكم لها .

أما النصرانية فقد تمنت في ظل الإمبراطورية الرومانية بقوه اجتذاب عظيمة لمجرد كونها دين الدولة الرسمي .. وما لا شك فيه أن بلاد العرب الداخلية وبخاصة مدن الحجاز التجارية لم تكن تحمل كل الجهل تعاليم المسيحية وتقاليدها بسبب اتصالها الدائم بقبائل الشمال .. وليس من شك في أن الرهبان الذين انتشرت صوامعهم من فلسطين وشيه جزيرة سيناء حتى قلب الصحراء كان لهم أثر كبير في تعريف العرب بالنصرانية.

ذلك هي خلاصة لبعض الاحوال المساعدة في شيه الجزيرة قبل البعثة المحمدية .

وقد يكون في خواطري الجديد علي ، أ هو الجديد مني ، الفت إليه أنظاركم ، لعل بعضكم يعترف بصحته ولعل البعض الآخر يطرح حواراً يناقش هذا الصواب ، فالحوار فيه النقاش لكن النقاش حياة النقاش ، خطأ يصلحه صواب ، وصواب تعرض إليه الخطأ ليتصبّح حيله ويتصبّق قوله ، صواباً لا تأخذ منه الخطأ ، فالتأريخ الحديث .. الآخر كلمة صامدة نحاول أن ننطّقها بقراءة جديدة ، وفقه جديد أتتم بها المستعربون كنتم السباقين إلى فقه التاريخ وفلسفة التاريخ .

سابقون بالجهر ، وبالصراحة ، وفي هذا لا أكيل الثناء عليكم وإنما أريد أن يكون كبراءة تاريخ العرب لا يذكر للذين يفهونه ويفاسفونه .

ولست بهذا الثناء عليكم لأنني عالمنا وأمامنا في فلسفة التاريخ العربي .. الحضاري التونسي المصري ابن خلدون .. كما لا أنسى استاذ القومية العربية من سمي نفسه إيجاباً بابي خلدون.. ساطع الحضاري أحد الحوار مع المؤرخ الكبير .. لا يحرمه الحوار حين يبرز الخطأ من الحب والتقدير للإمام ابن خلدون . فالحوار فكر مع فكر.. بهذا يعلو ولن يكون ذاتاً مع ذات.. أتنانيا ضد أتنانيا ، فإن كان كذلك فليسقط التاريخ .

هذه المقدمة أتبعتها بمقدمة ثانية عن لمحات موجزة عن الأمة العربية في حصور التاريخ السعيدة.

فإذا كان طوفان نوح هو التطور الثالث طبيعياً ، ابرز أراضيين ، وأغرق أراضيين ، وخفف بحضارات ، فإن العرب هم ورثة نوح.. أصحاب التطور الحضاري من ولده سام ، فهم الساميون الأكثر انتشاراً بالسامية ، لا يحاربونها وإنما هم يحاربون من أفحموا أنفسهم على السامية من الذين تهودوا من هؤلاء الاشتخار الذين لم يلدهم إسرائيل

قد نسميه تجاوزاً للتطور الثاني لا الثالث لمعطيكم أتتم كمستعربين قيمة التطور الحضاري الثالث ، أرجو ألا يرقع أصبع ذاكرتي بحضارة الرومان واليونان ، فلا أريد أن أنسى ذلك أو أتناساه .. ولست منعشاً حين أضع حضارة اليونان والرومان جزءاً كفيس من التطور الثاني لحضارة الإنسان صناعة العرب جاءت حضارة اليونان والرومان قبساً منه.

فالفراعين والكلدان والأشوريون والأنبياء وعاد وثمود وفينيق وكتان - هؤلاء عرب هم أصحاب التطور الثاني واليونان جاءوا معاصرين لبعض هؤلاء أو متأخرین عن بعض هؤلاء.

فحين أذكر هذه الشعوب العربية حول النهر .. نهر النيل ، نهر الفرات ، نهر بردی ، نهر الاردن .. في اليمن والخسرا .. في شطوف الصحراء .. أعتبر أن كل هؤلاء من العرب .. وكانوا بكل ما تملكون به وبالرسالات والأنبياء .. كانوا أول أرهاص لهذا الإسلام ، فالعرب بكل مالهم وما عليهم كانوا أرهاص .. أعدهم الله لا يکونوا وفي أحقاب السنين على دعائم من الحضارة ، وتعدد الديانات ، ونبيغ الرسائلات ، مقدمة لهذا الدين ، حمله العرب أول من حمله ، ثم حملته الشعوب الأخرى التي اسلمت فكانت عربية الوجان بلغة القرآن .. تعليم القرآن .. مسلمة الایمان ، بتعاليم القرآن وشريعة الإسلام .

هذا أرهاص الكلي ، وباعتباره التكوين لوجودان العربي وفكرة وحضارته .. قد جاءت بعدة أرهاصات كثيرة منها ظاهرة السلب ، والانتقام من الانتقام ، وكثير من الإيجاب .. الاحتفاء بالانتقام ، فكيف كان ذلك؟

سيداتي . زسادي

فأدھر العرب في جزيرتهم فلم يصحرروا، اندفعوا موجات موجات، لا ينتظرون بشرا إلى الامراء حول النهر .. وانما نقلوا كل فكرهم ووجهانهم إلى بینات خضراء ، احضرت بها حضارات ورثت حضارات وأثبتت حضارات

فالهجرة من الامراء الى الصحرا غير واردة . قال ذلك العلماء، وانما الصحيح أن هجرة العرب كانت من الارض التي ادھرت الى ارض التي أمرت ، ولكن وقد التصفوا بالارض لم يدعوا الجزيرة فراغا ، بقيت بقايا منها في بيوت الشعر ، كانت الملجأ لهم حين تعظم شعوب غازية، يهاجرون من بيت الشعر وينهاجرون اليه.

ان بيت الشعر هو عظمة الارهاص لمعجزة الاسلام..تصوروا كم هي المھلكات التي سقطت على بيت الشعر .. جب وامراض ودماء .. الخ هذه الواوات . ويقى بيت الشعر المدد الوليد يحفظ على الشام عروبة، وعلى العراق عروبة، وعلى اليمن كيانه، ويمد افريقيا بمدد عزتها.

فقد قال الامام ابن باديس ، شيخ الجزائر، الرجل الاول في تعليم الجزائري الثورة على الاستعمار . زقال : لمن قيل انهم خربوا، فلنقول انهم عربوا. يعني موجة بنی هلال وبنی سليم، فموجة الفتح التي استمرت في امبراطورية الخلفاء ، وامبراطورية أمية ، وامبراطورية العباس ، تبعتها موجات من الجزيرة لم تذهب للنجة وانما كانت حملة قومية بوازع سياسي لم يسأل عنه تاريخ المعركة الى الان. أزعم أنها على يقين أن موجة بنی هلال وبنی سليم كانت من تخطيط بين هاتين القبيلتين وبين المعز الفاطمي..لها نثارها وبها تاثيرها.

سيداتي .. سادتي

اكثر الذين كتبوا عن العرب ، ومن المسلمين بالذات وقعوا في خطأ ابن خلدون. زيزعون أن العرب كانوا قبل الاسلام لا شيء ، وان الاعراب بعد الاسلام هم لا شيء.

والحق أن هذا خطأ نظروا الى احد الوجهين من العملة ولم ينظروا الى الوجه الثاني .. استمروا في تعديد السليبيات ، وما خطر على بالهم ان خلفية هذه السليبيات كانت ايجابيات.

قالوا:

ان العرب كانوا قبل تسيل بينها الدماء في حروب قبلية .. خطأ. ان يكون في ارض واحدة شعب واحد يتوزع قبائل يقتل بعضها ببعض..هذا وجه الدينار.

اما الوجه الآخر فشيء آخر ..

ان حروب القبائل ازعم وانا على يقين انها كانت ارجها لمعجزة الاسلام..لرسالة سيدنا محمد سيد الانام عليه الصلاة والسلام..فالدين الجديد..الرسالة المحمدية، رسالة الاسلام. لا بد لها من رجال يعتقدونها. زيمونها. ينشرونها. يتحضرون بها ليرسلوا الحضارة الوسيط الى بنی الانسان.

هذه الحروب القبلية .. كانت أكاديميات عسكرية، تعلمت القبائل المتحاربة ، هذه الحروب البغيضة ، التعامل مع السيف والرمح والاحتفال باقتتاله، والتجارة به . فقد كانت عند بعضهم ذخيرة من هذا السلاح اما ان يتمولوا بها. او ان يمولوا قبائلهم بها.

ادرع العباس بن عبد المطلب مثلا السلاح كل السلاح عن صفوان ابن أمية الى غير هؤلاء.

ان قوسا واحدة..قوس حاجب بن زراره زصنعت حرب ذي قار..حتى اذا جاء الاسلام ، وجده القوارس..قاده الجيوش ، فهل كان بالامكان لو لم تكن هذه الحروب المعلمة، ان يكون في الاسلام وللإسلام قائد مثل خالد بن الوليد.. اركان حرب مثل الفقاع بن عمرو..وفاتح الشرق مثل قتيبة بن مسلم ، فاتح الغرب مثل عقبة بن نافع، فاتح الاندلس مثل موسى بن نصير وطارق بن زياد.

تعلموا في الجاهلية حتى جاءوا الى الفتح كانوا اساذة يعلمون الاجيال بعدهم.

والانحياز الى الصحرا يظهر للمشغبين على العرب انه بداوة ، بينما وهو رغم الحروب القبلية، كان تكتلا حضاريا لم يكن للفرس أن يتجاوزوا هذه الحيرة ، ولم يكن للروم أن ينفذوا الى بادية الشام ، ولم يمكن للفرس وللأخباش أن يستقروا في اليمن.

وكان تكتلهم في الجزيرة ارجها لمعجزة الاسلامية ، وحين سطع نور هذا الدين ، وجد في هذه المنطقة الجليلة ميدان نجاح .. صد العني محمد بالرسالة على الصفا، ففققه مما جرى ارجاصين: فحين بشرهم وأنذرهم كان من ردود الفعل أن تجتمع قريش على كلمة واحدة ، تصدھ وتردھ، ولكن هذا الاجتماع انفرد في اللحظة الاولى بموقف أبي لهب المنكر للرسالة ، ولو لم يقف ابو لهب عم النبي هذا موقف المنكر لأجتمع قريش أمرها على الإنكار بكلماتها الموحدة تصد وترد لكن كلمة أبي لهب (تبا لك..ألهذا جمعتنا!) أطفأت غلواء قريش كأنهم قالوا انزركوه الى عمه ، وجه العملة الردي .. إنكار أبي لهب ، وجه العملة الارهاص موقف أبي لهب فرق كلمة قريش ، تركت الرسول العظيم لشيرته الأقرب فلم تشارك عشائر قريش أول الامر في كلمة واحدة .. أعطت المتvens ليس لهم الساقون الاولون . زينار عهم عمه ابو لهب ، يطغى النار بما سلب ، يناصره عمه ابو طالب ، يقاوم ثارهم بما أوجب.

و هذا الموقف في مكة وهو سلبي كل السلب تحارب قريش رسول الله بالاذى والانكار والتعذيب للمستضعفين .. كان عملا ردينا ، لكن الوجه الآخر للدينار كان عملا مفيدا.

لماذا؟

لأنه وكما ذكرنا من أن قريشا تركت الامر بين ابى لهب بن ابي بكر ينافس الرسالة المحمدية، فان العرب كل العرب تركت قريشا تنازع الرسالة المحمدية..فكانوا أرادوا..ما دامت مكة قد حارت هذه الرسالة فلا داعي لأي تكفل منا بحارب الرسالة في مكة.

فقد يخلق هذا الصراع بيننا وبين قريش حين نبادر الى أي تحرك ضد مكة.

كل تاخر العرب لأن تحارب هذه الرسالة ارهاصا للنبوة.

الستم معى في هذا الفكر ..أرجح بمن يستريح لهذا الفكر ولا أجفل من ينافقن هذا الفكر.

سيداتي زسادتي

وارهاص آخر يتبع ارهاص المتحاربين والمتحاربين والمستكرين على الصورة التي شرحت بارهاص آخر كان اساسه المعتقد والمعتقد والعقيدة.

سطع نور الاسلام، وقبائل العرب في جزيرتهم ، في نجدهم وحجاز هم وتهامهم وسروانهم، وثبيين .. لهم ثلاثة من حجر أو من شجر..أو حتى من عجوة التمر، كما هو الحال في الجاهلية.

هذه الوثنية في العرب أز عم انها من الارهاص ل الاسلام.

كيف كان ذلك؟؟

فلو كانت قبائل العرب نصرانية ..لناصرها الرومان ، وجاءها المدد من الشام، لو كانت يهودية لتعثر افتئاعهم بالاسلام..كما هو الحال في الواحات العربية..المدينة، خبير، وما الى ذلك من وادي القرى..

لو كانوا نصارى أو يهودا أو لو كانوا وثبيين ومحوسا من اتباع زرادشت أو ماتي..لوجدوا النصیر ولوجد الاسلام العسير، ولكنهم كانوا وثبيين..لديهم ملامح ووراثات من ملة ابراهيم، فافتتح وجذانهم الى قبول العقيدة الاسلامية بيسير فيه بعض العسر..ليس سببها عميق العقيدة لديهم..ولما سببها زعامات خافت على نفوذها اذا ما انطون تحت راية الاسلام كالذين ادعوا النبوة او الذين منعوا الزكاة.

ان هيل الوثن كبير الالله في مكة الذي سقط وخرج من جوف الكعبة كان وثنا، ردينا أن يبعد، ولكنه من الوجه الآخر كان حرزا للعربي أن يتنصر أو أن يتهدى، كان ارهاصا لمعجزة الاسلام تدخل فيها قبائل العرب الوثنية.

ان اليهودية في الواحات ، كانت العسر كل العسر، فما تنفس الاسلام حتى أجلهم، وان نصاري تغلب قد مكثوا طويلا فلم يسلموا الا بعد لاي..فطلحة الأسدى الوثنى ادعى النبوة، وما أسرع ما انهزم حتى اسلم، وغفة التغلب النصراوى انهزم مع طليحة..فما اسلم حتى أهلكه خالد بن الوليد وما زالت تغلب تبقى على نصرابيتها الى زمن طويل.

سيداتي زسادتي

ان القومية العربية حين أصبحت شعوبية عربية في عهد بنى امية، كان لها وجهان ..الوجه الحبيب الى العرب ، والوجه البغيض الى الشعوب المسلمة قد غربها العرب فحملت لهم مذلة اختفت ثم ظهرت.

لم تكن احسانا على العرب الا حينا من الدهر تسعين عاما ولكنها كانت احسانا لانتشار الاسلام، وتشجيع الشعوب بحبائله، تدافع عن نفسها به، فالاسلام انتصب شعوبية هذه الشعوب الى هدم القومية لنصرة ذاتها بانتصار الاسلامية ،فاظهرت العباسين فانقلب الأمر على حرمان العرب من كل سلطان..حلفاء عرب بفكر اسلامي ينتصر بغير العرب، فمن سينات الشعوب اذلال العرب، ومن بعض محاسنها انتصار الامبراطورية العباسية لتنتشر حضارة الاسلام ب الرجال من اعراق غير عربية لكن اللسان الامبراطوري العظيم..لسان العرب هو الذي لم ينهزم..فكل هؤلاء الرجال العياقة من غير العرب كانوا عربا..عربا تكلموا اللغة العربية ، فكروا بالسلوبية ، كتبوا بها..فالحضارة الاسلامية صناعة مسلمة بوجود عربى ، بلغة عربية، ليس هذا ارهاصا انما هو معجزة، ليست معجزة العرب انما معجزة الاسلام.

ان الاسلام ليس دين عبادة فحسب وانما هو حرية الوجdan والفكر في انطلاقة لاعتقاد ما هو حسن، واجتناب ما هو سيء، لم يتذكر المسلمين الى علم الصين والهند واليونان والرومان ،أخذوا كل ذلك فأعطوا على ذلك.ليس هذا ارهاما وانما هو معجزة.

سيداتي..سادتي

تقدم اليكم الاثر الاجتماعي وكيف كان المظاهر السبي له عائد حسن، فالقتل والثُن والخلاف..كل هذا مهدت كارهاص لمعجزة الاسلام..غير ان هناك الدعامة والاساس، اساس سرمدي هو وحدة الارض، فالارض عربية كانتها طوفان نوح وابناء سام الذين هو الخلاصة التي جاءت بالشعوب العربية، فالشعوب العربية هي الأولى بوراثة السامية لا غيرها.

ان وحدة العرق في الغالب هي وحدة الارض كان ارهاصا للإسلام، فاتصال الارضين التي عمرها العرب سهل قبولهم للإسلام حتى ان الاستعمار الروماني والفارسي كانا من هذه الأسباب التي انتصر بها الاسلام كما انتصر عليها، فالشعب العربي في الشام ، في العراق، في اليمن، في مصر، في افريقيا، وجد وهو في ثورة على المستعمر الغوث في الفتح الاسلامي.

فالوجه الرديء للاستعمار له وجه آخر هو حرب الشعوب عليه ، قبلت الغوث ، فحين فتحت الارض الموحدة افتتح قلب ساكنها العربي لهذا الاسلام.

وحدة الارض عامل كبير، فرغم صعوبة وسائل المواصلات كانت وحدة الارض هي القريبة التي سهلت صعوبة المواصلات الى قرب الاتصال.

سيداتي .. سادتي

وهناك عامل اساسي ايضا بعد وحدة الارض هو وحدة اللغة.. لهجات الشعوب العربية كانت قبل هذا التوجه للغة كأنها لغات مغایرة ، وجاء الامر قبل الاسلام او هاصفا في الاسواق العربية أهمها سوق عكاظ تجتمع القبائل، يتسع الحوار، تتصاحف القربي، تتعارف الرجال، تتوحد اللغة..كانت وحدة اللغة تمهدانا لفهم لغة القرآن فلحة القرآن جاءت ببيانية فصيحة في أمة بيانية فصيحة.

ان وحدة اللغة عامل اهم كان رديفا للتاثير القرآن، يعرفونها ، يفهون لغته، متوحدين في هذا الفهم بلسان واحد عربي مبين.

فكان السهل أن تدخل لغة القرآن مسامع الوجدان الموحد بلسان واحد.

سيداتي..سادتي

نفع الامة العربية في خط الانعزالية..كل شعب يؤرخ لشعبه، مصر تتعزل بتاريخها مستقلة به عن العرب، العراق ،لبنان..تونس..الخ ما هذالك.

فراعين، فينيقيون، كلدانيون، آشوريون .. ان هذا الانفصال أو الانعزال ..تجزئة لتاريخ أمة العرب ، بينما كل هؤلاء عرب، ليس برهانى وحدة اللisan، وانما برهانى وحدة الوجدان، وانما دليلي وحدة الاثر، فالآثار العربية في الجزيرة وعلى الخليج تناطينا بأنها المدد لآثار الآخرين، أو الامتداد لها.. ذلك ما يأتي به الزما عندما نتعاون نحن وأنتم على كشف المخبأ.

زارني أستاذ تاريخ مصرى في يده بحث عنوانه (الاستعمار الآشوري) فالهمت ساعة في الحوار معه..أقول له أن كلمة الاستعمار حديثة، وكلمة الاستيطان أحدث، واري أن تسمية انسياح الآشوريين أو الهكسوس أو الفينيقيين أو الكتائين من ارض عربية الى ارض عربية ..أن تسمى بالاستعمار ، فالاستعمار تسلط أجنبي، والعربى حين يأتي بلدا عربيا ولو بصورة غزو فانما يعبر ارضه، ويتأخى مع انسائه فينذهب فيه.

ان دعاء الفرعونية، والفينيقية، يعزمون أمرهم لو انتصروا أن يعدوا الفتح الاسلامي لمصر أو لبنان أو تونس استعمرا..قياسا على وصف الآشوريين والهكسوس بالمستعمررين.

من هنا كانت الدقة في عظمة التسمية الاسلامية، تسمية ضم الاراضين العربية في وحدة العقيدة ووحدة اللغة والوجدان فتحا..(انا فتحنا لك فتحا مبينا).

الفتح العظيم..حتى الترجمة لكلمة غستاف ليون جاءت اعرابا عن هذه الدقة في التسمية.

أنا لا اعرف كلمة غستاف ليون بالفرنسية وانما اعرف الترجمة (ما عرف التاريخ فتحا ارحم من العرب) او الكلمة الاخرى..لقد فتح العرب في مئتين عاما أكثر مما فتح الرومان في ثمانمائة عام وأكثر من ذلك.. لهذا أدعو الشعوب العربية أن تفقه تاريخها..تاريخ أمة واحدة، لكل شعب امتيازه، لكل شعب جهده، لكل شعب مجده..ل لكن التاريخ واحد والامة واحدة .."ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون."

فالخلاصة ان العرب حملة رسالة..بناء حضارة..صناع سلام..يحتفلون بالصداقة..يحترمون حاضرهم..ويعملون لمستقبلهم..فما أكثر ما تبرأوا من الحق، وما أكثر ما تجرعوا من الحقد.

العرب بالارهاص وبالمعجزة كانوا وما زالوا قوة تؤمن بالحق ، وتتخضع لقانون الحق ، وتريد أن تكون أمة تعمل للسلام، لا تقتل ارض أحد، ولا تستغول دماء البشر، وإنما تري سلاماً الناس من الناس.

كأنها بهذه الفلسفة انسان الانسان، لا تلومني ان فخرت بأمي فكلكم فخور بأمته..وشكرًا.

محمد حسين زيدان